مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد12/ العـدد:03(2024)، ص: 925-934

الرسم القرآني بين متاحات التأويل وصرامة التعليل

Quranic drawing between the possibilities of interpretation and the rigor of justification

عبد الرزاق مساعدية[1]*، هشام بن حليمة[2]

[1]جامعة خميس مليانة (الجزائر)/ a.messadia@univ-dbkm.dz

[2]جامعةالبليدة 2 (الجزائر)/ hichamghano07@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/07/30 تاريخ القبول: 2024/09/17 تاريخ النشر: 2024/10/01

ملخص:

يتناول هذا البحث قضية الرسم القرآني وما يتضارب حوله من تأويلات اجتهادية وتعليلات علمية، حيث يُعد القرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية ومجمع الهدايات الربانية، هيأ الله له أسباب الحفظ والصيانة، فسماه قرآنا لأنه متلو بالألسن، وسماه كتابا لأنه مدون بالأقلام، وجعل العناية بحفظ حروفه رسما وضبطا، كالعناية بحروفه ترتيلا وتدبرا، فحفظه الصحابة في صدورهم، ودونوه في صحائفهم ثم جمعوه في المصحف الإمام؛ مصحف عثمان رضي الله عنه. وقد كُتب المصحف الشريف في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، وتناقلته الأمة بعدهم بالتعظيم والتقديس فلم يجرؤ أحد على إعادة رسمه، رغم تطور الكتابة القياسية وانفتاحها على كثير من المستجدات.

وقد بقي الخط القرآني على رسمه الأول مخالفا لتلك الكتابة ومثيرا لتساؤلات عدة، فاختلفت على إثرها الآراء بين مقدس يرى أنه رسم معجز له خصوصياته الربانية، يحتمل كثيرا من التأويلات، وآخر يرى أنه رسم له سياقه الزماني، ولا بد للناظر فيه أن يتجرد للمنهج العلمي، والطرح الموضوعي، فلم يفسر ظواهر الرسم إلا في حدود التعليل العلمي.

كلمات مفتاحية: الرسم القرآني؛ التأويل؛ التعليل

Abstract:
In our research, we discussed this Quranic script and its interpretation and explanation, as the Holy Quran is the final heavenly book and the collection of divine guidance. Allah prepared the means for its preservation and maintenance, so itscalled the Quran because it is recited by tongues, and called it a book because it is written by pens, and made the care of preserving its letters in script and control, like the care of its letters in recitation and contemplation. The Companions memorized it in their hearts, and wrote it down in their scrolls, then collected it in the Imam Mushaf; the Mushaf of Uthman, may Allah be pleased with him. The Holy Mushaf was written during the time of the Companions, may Allah be pleased with them, and the nation passed it on after them with reverence and sanctification, so no one dared to rewrite it, despite the development of standard writing and its openness to many new developments.
The Qur'anic script remained in its original form, differing from that writing and raising many questions. Opinions differed as a result, between those who believe that it is a miraculous script with its own divine characteristics, open to many interpretations, and others who believe that it is a script with its own temporal context, and that the observer must be devoted to the scientific method and objective presentation, so that the phenomena of the script were not explained except within the limits of scientific justification.
Keywords: Quranic drawing; interpretation; justification

***المؤلف المرسل:** عبد الرزاق مساعدية

1. مقدمة

البحث في موضوع الرسم القرآني ذو شجون يأخذ الباحث إلى العديد من المواضيع التي لها علاقة من قريب أو بعيد بكل ما يتعلق بالخط والكتابة واللغة وتأويل الكلام ودلالاته وتعليلاته، وذلك لأن البحث يتمثل في دراسة لنص مقدس، فلابد من مراعات قدسيته التي قد تمس بكل الجوانب المذكورة وزيادة.

وعليه حاولنا في هذه الدراسة التطرق إلى موضوع الرسم القرآني بين متاحات التأويل وصرامة التعليل، ومن أجل الفصل بين هذين الأخيرين توجب علينا النظر في وحي الكتابة وفلسفة الخط ابتداء، ثم عملية كتابة القرآن الكريم وظهور الرسم العثماني بمزاياه وأنواعه، مع تبيين المنهج العلمي في تفسير ظواهر الرسم القرآني، ومذاهب العلماء ومناهجهم في ذلك، والوقوف بالتحليل على جدلية التفسير العلمي والتأويل الاجتهادي للرسم القرآني.

واشكالية هذا البحث جاءت بعد النظر إلى بقاء خط المصحف الشريف على رسمه الأول الذي وُضع في زمن الصحابة، وعدم تغيره مع مستجدات الكتابة القياسية حيث أثار ذلك عدة تساؤلات،اختلفت بين فريقين اثنين، أحدهما مقدس يرى أنه رسم معجز له خصوصياته الربانية، يحتمل كثيرا من التأويلات، والآخر يرى أنه رسم له سياقه الزماني، وعليه فماهي مبررات كل فريق، وإلى ما تنحو إليه جدليتهما حول هذا الموضوع؟

2.وحي الكتابة وفلسفة الخط:

لا شك أن الكتابة من أشرف المبتدعات الإنسانية، لأن الكتابة والخط هما القسيم المادي لأصوات اللغة، ذلك أن الأشياء لها وجود مشترك في الأعيان والأذهان، لا يختلف باختلاف الشعوب والمجتمعات، ولها وجود آخر فرضه الاضطرار وحاجة البشر للمحاورة فيما بينهم فنشأت اللغات في مظهرها الصوتي، وزادت الحاجة إلى نقل اللغة ولإعلام الغائبين فاخترعت أشكال الكتابة والخط، وتختلف اللغة والكتابة

باختلاف البلدان والأمم، ويخضعان للوضع والاصطلاح، وهما قابلان للتطوير والإصلاح، وتقول العرب: الخط أحد اللسانين وحسنه أحد الفصاحتين، وسمط الحكمة به يفصل شذورها وينظم منثورها. (الماوردي، 1421هـ. ص. 68).

وهذه سورة (ن) يحلف فيها الله العلي القدير بالقلم وما يسطرون، إذ يقول: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}، (القلم، الآية:01)، وهذا من أروع ألوان التنبيه إلى جلال الخط والكتابة ومزاياهما (الزرقاني، 1996. 251/1)، وعليه فان الكتابة فن يتحمل كثيرا من ملامح تأثير الجمال، وتحتوي على جملة من المعاني والأسرار.

3.كتابة القرآن الكريم:

كان لحروب الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله أثر في استشهاد جمع غير يسير من القراء وحفظة القرآن، وخاصة بعد وقعة اليمامة، إذ اجتمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على جمع القرآن الكريم في كتاب، وكان أول كتاب يدون كاملا، وفي عهد عثمان رضي الله عنه تشكلت لجنة من أجل توحيد جمع المصحف وتوزيعه في الأمصار، وذلك بسبب اختلاف المسلمين في القراءات، بسبب اتساع الفتوحات الإسلامية، ودخول غير العرب في الإسلام ، فخوفا من افتراقهم كما افترقت اليهود والنصارى قرر توحيد المصحف.(محمود بوعياد، 2007م. ص. 33).

أمر بديهي أن يُكتب القرآن الكريم ويحفظ في السطور كما حفظ في الصدور، "لأن الكتابة أدعى إلى حفظ التنزيل وضبطه وأبعد عن ضياعه ونسيانه (الزرقاني، 1996م. 250/1)، والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد (الزرقاني، 1996م. 255/1).

وعليه ينبغي استحضار السياق التاريخي الذي كتب فيه المصحف، حيث كانت الكتابة العربية في إرهاصاتها الأولى من النشأة والتكون، ومن جهة أخرى فإن الواقع آنذاك يفرض استيعاب كل ما ثبت أنه قرآن وإلا كان إخلالا في كماله ونقصا في أدائه، كل هذه الملابسات جعلت الرسم القرآني يكتسي حلة من التفرد والإغراب، بقيت ملازمة له بعد أن اجتمع عليه الصحابة وأجمع العلماء من بعدهم على عدم مخالفته، فقد سئل الإمام مالك: أرأيت من استكتب مصحفا اليوم أترى أن يكتب على ما استحدث الناس من الهجاء اليوم؟ قال: لا، ولكن يكتب على الكتبة الأولى، قال أبو عمرو: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة (أبو عمرو الداني، [د.ت]. ص. 10)،

وقال البيهقي في شعب الإيمان: من كتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم (الزرقاني، 1996م. 262/1)، من هنا اكتسب خط المصحف الشرعية والقداسة والتعظيم، وانسحب إعجازه العلمي واللغوي على مرسوم ألفاظه، وصار خطه شرطا أساسا في قبول القراءة.

قال ابن الجزري: (ابن الجزري، 2000م. 7/1).

فكلّ ما وافق وجه نحوٍ ... وكان للرّسم احتمالا يحوي

وصحّ إسنادًا هو القرآن ... فهذه الثّلاثة الأركان

وحيثما يحتلّ ركن أثبت ... شذوذه لو أنّه في السّبعة

ومن جهة أخرى فإن خط المصحف بقي على حاله محفوظا أزمانا متطاولة، ودهورا متعاقبة، مأخوذا بالعناية متواترا بالصورة، وصار مثارا للبحث في أسراره وتعليل ظواهره، "وتدوين علل رسم الكلمات في المصحف موضوع واسع ضارب في أعماق التاريخ، ولا يتأتى تدوينه كاملا لشخص واحد، أو في عصر واحد، فكل صورة كتابية

متميزة لها قصة في التاريخ (قدوري، 2016. ص. 207)، فكان هذا الاحتفاء أحد وجوه الإعجاز.

4.الرسم القرآني: أنواعه ومزاياه

يُطلق مصطلح الرسم القرآني على الكتابة التي كتب بها مصحف عثمان رضي الله عنه، حيث كان هذا الرسم في بعض الكلمات غير مطابق لما تقتضيه قواعد الإملاء مع اللفظ المنطوق. (النبهان، 2005، ص. 155)

1.4مزايا الرسم القرآني:

للرسم القرآني العديد من المزايا نذكرها فيما يلي:(النبهان، 2005، ص. 155)

-يقبل تعدد القراءات: وذلك بمراعاة تنوع القراءات في الرسم، من خلال وضع قاعدة يمكن بفضلها قراءة الكلمة وفقا للقراءتين معا.

-إفادة المعاني المختلفة، من خلال الإشارة الإملائية إلى التفاوت بين المعاني في الكلمات التي تنطق بطريقة متماثلة.

- الدلالة على أصل الحركة، كما في قوله تعالى: {سَأُوريكُم دَارَ الفَاسقين}، (الأعراف، 145) والأصل أن تكتب سأريكم.

- مراعاة بعض اللغات الفصيحة، وذلك عن طريق الإشارة إلى بعض لغات العرب في حذف بعض الأحرف.

- الاعتماد على الحفظ في القرآن وليس على الكتابة، لأن الرسم لا يطابق النطق، والقارئ يحتاج إلى حفظ القرآن لكي يتمكن من القراءة الصحيحة.

2.4أنواع الرسم القرآني:

يتميز المصحف العثماني برسم غير مطابق لما تعرفه الكتابة المعتادة، وهذاما دفع العلماء إلى تفسير ذلك بمحاولة وضع أقسام للرسم القرآني، بناء على عدة اعتبارات، نذكر من بينها التقسيم باعتبار موافقة رسم الكلمة للفظها، فقد قسم إلى قسمين اثنين هما:

1.2.4 الرسم القياسي: هو ذلك الرسم الذي يوافق لفظ الكلمة، مثل: نعبد، نستعين، البروج ... وغيرها كثير.

2.2.4الرسم الاصطلاحي: هو ذلك الرسم الذي يخالف لفظ الكلمة على عدة أوجه (الجهني، 2013، ص.11)، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **الحذف:** مثل حذف الألف من ياء النداء: (يأيها الناس)، وأيضا من هاء التنبيه في(هؤلاء)، وحذف الواو عند التكرار، مثلما في كلمة (فاءو).

- الزيادة: مثل زيادة الألف بعد الواو في آخر كل اسم مجموع نحو: بنو إسرائيل، وأيضا زيادة الياء في كلمة (بأييد).

- **البدل:** مثل أن تبدل الألف واوا للتفخيم: كالصلوة، والحيوة، وأيضا كما تبدل الألف ياء في الكلمات التالية: على، بلى، متى، إلى ... ونحوها.

- **الوصل والفصل:** مثلما وردت لفظة (كلما) موصولة دائما ماعدا ثلاث مواضع، في النساء وإبراهيم والمؤمنون، حيث كتبت في هذه المواضع المذكورة مفصولة هكذا (كل ما)، وقد جاءت أحرف الإدغام موصولة ومفصولة مثل: (عمّن)(ممّا)... ونحوهما

- **الهمز**: حيث كتبت الهمزة الساكنة بحرف حركة ما قبلها، مثل (اؤتمن)، أما الهمزة المتحركة إن كانت أولا كتبت بالألف، مثل: (أيوب)، وإن كانت وسطا تكتب بحرف الحركة مثل: (سأل) و(نقرؤه)، وإن كانت آخرا كتبت بحسب حرف حركة ما قبل الآخر مثل:(سبأ)، (شاطئ)، (لؤلؤ).(النبهان، 2005، ص. ص:165- 169)

5.مذاهب العلماء في تفسير ظواهر الرسم القرآني:

لا شك أن تطور الكتابة القياسية بعد عصر صدر الإسلام، أظهر الرسم القرآني في ثوب من الغرابة بعد أن حفته هالة من القداسة والتعظيم، وإجماع الصحابة على الكتْبة الأولى للمصحف الإمام، وعلى عدم تبديلها أو تغييرها أو الزيادة عليها، وعلى إثر ذلك تباينت آراء الناس في تفسير ظواهر رسم المصحف،

لاسيما تلك المخالفة للكتابة الإملائية، بين منتهج للصرامة العلمية، وآخر راكن للعواطف والنزعات الروحية، نوردها فيما يلي:

1.5منهج التفسير الغيبي أو الباطني:

التفسير الغيبي (الباطني) هو التفسير والتأويل المقطوع عن الضوابط العلمية والموضوعية، والمحتكم إلى الظن والتخمين، كتفسير ظواهر الرسم في القديم والتي قامت على أساس التقديس والتعظيم، أبو العباس أحمد المراكشي الشهير بابن البناء (721هـ)، في كتابه: عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل، وكان أساس هذه المحاولة هو تفسير الرسم على أساس اختلاف معاني الكلمات حسب السياقات بأسلوب صوفي باطني، لا يمت إلى اللغة ولا إلى طبيعة الكتابة بأي سبب (قدوري، 1982م. ص. ص: 8-9)، قال في مقدمة كتابه: فإذا بطنت حروف في الخط ولم تكتب فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك، وإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك، كما إذا وصلت فلمعنى موصول وإذا حجزت فلمعنى مفصول، وإذا تغيرت بضرب من التغير دلت على تغير في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبر(المراكشي، 1990م. ص. 34).

2.5المنهج العلمي في تفسير ظواهر رسم القرآن:

يقوم هذا المنهج على مراعاة السياق التاريخي وأدوات الكتابة وتقاليدها في ذلك العصر، فالكتابة آنذاك لم تكن على درجة من الإفصاح والإبانة عن هجاء الألفاظ، فلا تجد الرسم يطابق النطق تماما، إما لاشتراك بعض الحروف في رمز خطي واحد، أو لعدم استحداث رموز ضابطة للالتباس والتداخل، وعليه فإن رسم المصحف كُتب على نحو ما كان الناس يكتبون، وعلى قلة الوسائل وقصور رموز اللغة أبدع الصحابة غاية الإبداع في الحرص على تصوير رموز الخط لألفاظ القرآن، وقد وجهوا معظم ظواهر الرسم بحسب ما تقتضيه من علل نحوية وصرفية وأدائية، ومراعاة اختلاف أوجه القراءات حتى يحتملها الرسم.

وكذا النظر في علاقة الخط بالعلوم الأخرى، وعلى رأسها اللغة، فإن علم الخط له علاقة وطيدة بالنحو والصرف، وقد نقل السيوطي في الهمع عن أبي حيان أنه قال: "علم الخط -ويقال له: الهجاء- ليس من علم النحو (يعني: بل هو مستقل) وإنما ذكره النحويون في كتبهم لضرورة ما يحتاج إليه المبتدئ في لفظه وكتبه، ولأن كثيرا من الكتابة مبنى على أصول نحوية، ففى بيانها بيان لتلك الأصول، ككتابة الهمزة على نحو ما تسهل به، وهو باب من النحو كبير (الهوريني، 2005. ص. 32).

وهذا ينفي الخلط والتخمين عن رسم المصحف لما فيه من وعي بطبيعة اللغة العربية ومراعاة كثير من قواعدها قبل أن يوضع علم النحو والصرف، ففي المواهب الفتحية في علوم العربية نقلا عن الحافظ ابن الجوزي: أن كتابة الصحابة للمصحف الكريم مما يدل على عظيم فضلهم في علم الهجاء خاصة، وثقوا بفهمهم في تحقيق كل علم، وقد استدل الحافظ السيوطي على قدم علم النحو بما منه كتابة المصحف، على الوجه الذي يعلله النحاة في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالألف (الكتاني، [د. ت]. 203/2).

ونقل السيوطي أيضا عن ابن فارس: ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو، والياء، والهمز، والمد، والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالألف، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكنا في مثل: الخبء والدفء والملء فصار ذلك كله حجة (السيوطي، 1998م. 297/2)، فلا مناص من التعليل العلمي لبقية الظواهر، وحملها على المعلل من أخواتها، باستنفاد وسائل الملاحظة والنظر، والبحث التاريخي للوصول إلى نتائج علمية مقنعة.

6. جدلية التفسير العلمي والتأويل الاجتهادي للرسم القرآني:

لا يشك عاقل أن كلا المذهبين (مذهب التفسير العلمي، ومذهب التأويل الاجتهادي) ينشد تنزيه القرآن وتعظيمه، وإن اختلفت سبيل كل فريق وحججه واستدلالاته، وما

دامت الغاية محمودة فالبحث في سبل التوفيق أولى، والنظر في آليات الجمع أهدى، ولا بد أن نقف عند مسلّمة وهي أن النص القرآني في لفظه أو خطه ليس كباقي النصوص سواء من حيث مصدره أو من حيث شرفه في ذاته، وينبغي استحضار هذين المعنين في التعامل مع الخط القرآني.

ولقد سعِد الخط العربي بكلام الله كما سعدت به العربية من قبل، هذا بتصوير حرفه وتلك بأداء لفظه، فنالا به الشرف واستمدا منه الإعجاز، وإعجاز الخط لا يتنافى مع الدراسة والبحث فيه بالأدوات العلمية، وهو أيضا فسحة للنظر والتأمل، بيد أنه صورة للوحي الإلهي والتجليات الربانية، كما أن البحث في هذا الخط، وإخضاعه للصرامة العلمية والتجرد الموضوعي نراه لا يلبي جميع الجوانب ولا يجيب على جميع التساؤلات، ولذلك لا يزال البحث قائما والاختلاف محتدما في كثير من ظواهر الرسم، وهذا في حد ذاته من ملامح الإعجاز القرآني وأنه لا تنقضي عجائبه ولا تنفد أسراره حتى في مرسوم ألفاظه، لأن الرسم القرآني فيه نفثة غيبية، ومسحة من الوحي الإلهي، فقد كُتب القرآن بين يديه عليه الصلاة والسلام، وأشرف بنفسه على مطابقة المرسوم لمنطوق الوحي، بل ورد أنه كان يضع الدستور لكتاب الوحي في رسم القرآن وكتابته، ومن ذلك قوله لمعاوية وهو من كتبة الوحي: "ألق الدواة وحرف القلم وأنصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك"(الزرقاني، 1996م. 260/1).

وعليه لا بد من النظر في العقول التي رسمت المصحف، وما هي عليه من العلم والفهم والأمانة، لأن "أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا بحارا في العلوم على اختلاف أنواعها، من الشرعيات والعقليات والحسابيات، والسياسات والعلوم الباطنة والظاهرة، حتى يروى أن عليا جلس عند ابن عباس في الباء من بسم الله، من العشاء إلى أن طلع الفجر (الكتاني، [د. ت]. 14/1).

وقد حرص الصحابة -وهم المستأمنون على كتاب الله - على تكميل ما أحسوا من قصور في تقاليد الكتابة العربية آنذاك (قدوري، 2016م. ص. 189)، فسعوا بكل جهد إلى أن تستوعب رموز الخط كتاب الله، "واستثمار خصائص الكتابة في تمثيل ظواهر القراءة، وقد عبّر الداني عن هذا المعنى أحسن تعبير بقوله: وليس شيء من الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب وقصدوا فيه طريقا من اللغة والقياس لموضعهم من العلم ومكانهم من الفصاحة علم ذلك من علمه وجهله من جهله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (قدوري، 2016. ص. 190)، وهي إشارة إلى أن الرسم القرآني منه المقيس المحكم ومنه المتشابه، والمتشابه بلا ريب ليس خطأ ولا سهواً، بل يحتمل سرا أو معنى، وقد يُخفي وراءه فهما للصحابة أو قصدا لدلالة أو إشارة لمعنى خفي تدركه بصائر العقلاء، وتصل إليه فهوم النظار بعدهم، من ذلك مثلا:

الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة كلمة أيد من قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}: (الذاريات، الآية: 47)،إذ كتبت هكذا {بِأَيْيدٍ} وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى (الزرقاني، 1996م. 258/1)، وهي ليست كالزيادات المعهودة في الأبنية الصرفية (نحو ألف السلب وألف المفاعلة وغيرها)، فلما أعوزهم الدليل العلمي، فسروها بما أتيح لهم من تأويل يخدم سياق الآية ومعناها ولم يخرجوا إلى الإحالة أو الإسفاف فحُمد صنيعهم.

وعلى هذا النحو فإن الرسم العثماني تضمن كثيرا من المسائل التي لا تطرد على قياس، فتارة بالحذف وتارة بالزيادة وأحيانا بالإبدال ومرات بالوصل ومرات أخرى بالفصل، وهي بقدر تشعبها تمثل حرص الصحابة على تصوير ألفاظ القرآن كما أنزل وبجميع أوجه القراءات الثابتة لديهم، وقد تحرّوا المنهج العلمي في الكتابة،

قائم على مطابقة المرسوم للمنطوق، وإشارة إلى أوجه القراءات والأداء، ومراعاة قواعد اللغة وأصول الكلمات، ويمثل من جهة أخرى مساحة واسعة لكثير من توصيفات الخط وما يلحقه من مسائل صرفية ونحوية، وكما يقول الأستاذ غانم قدوري: أن كتب الرسم قدمت لنا وصفا دقيقا أمينا -يثير الدهشة ويستحق الإعجاب- ولولا ذلك الوصف لغابت عنا تفاصيل كثيرة تتعلق بتاريخ الكتابة العربية (قدوري، 1982. ص. 8).

وقال الداني رحمه الله: وعلة هذه الحروف، من الحروف المرسومة على خلاف ما يجري به رسم الكتاب في الهجاء في المصحف، الانتقال من وجه معروف مستفيض إلى وجه آخر مثله في الجواز والاستعمال، وإن كان المنتقل عنه أظهر معنى وأكثر استعمالا (قدوري، 1982. ص. 8).

ويمكن القول أن هذا القرآن تخير له البارئ سبحانه عز وجل "أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، وضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين (عبد الله دراز، 1997. ص. 115).

وكذلك تخير له من مرسوم الخط أشرف الرموز وأوفاها بالمدلول، وبهذا الرسم البديع وسره المكنون تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني، وليس الشأن في هذا الغلاف إلا كشأن الأصداف مما تحويه من اللآلئ النفيسة، فإنه جلت قدرته قد أجرى سنته في نظام هذا العالم أن يُغشِّي جلائل أسراره من بأستار لا تخلو من متعة وجمال، ليكون ذلك من عوامل حفظها وبقائها بتنافس المتنافسين فيها وحرصهم عليها (محمد هادي معرفة، [د. ت]. 57/2).

وحتى يبقى المجال مفتوحا للتأمل ومثارا للدهشة والإعجاب في كل عصر، وحتى ينال به أهل كل عصر بعضا من فتوحه وفيضا من أسراره، فكما هو معلوم لا تنقضي

عجائبه، ولا تنضب منابعه، وأينما وليت وجهك في لفظه أو خطه تتجلى لك فيه حكمة أو تسفر لك عن نكتة، وتزيدك يقينا أنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

6. خاتمة:

الرسم القرآني موصوف بالإعجاز، ووجه الإعجاز فيه بلوغ غاية الدقة والإحكام باقتضاء قواعد النحو والصرف، والإشارة إلى أوجه القراءات، وهذا الشق العلمي فيه، وفيه شق روحاني هو أبلغ وأعجز وهو تلك المعاني الشريفة والأسرار المكنونة التي يحملها في طياته، والتي تزيد في جلاله وقداسته.

إن رسم المصحف ظاهرة حضارية وثروة لغوية يجب التعامل معها بكثير من الجدية والصبر والأناة، وهو قطعة صحيحة موثوقة من تاريخ الكتابة العربية وتطورها عبر الأزمنة، ولا شك أن الرسم العثماني كان لبنة أساسية في وضع قواعد الكتابة الإملائية، ولا يمكن بحال أن نحاكم رسم المصحف إلى قواعد هو سابق لها وأصل من أصول استمدادها، بل حقه أن تحفظ قيمته الشرعية ومكانته والتاريخية.

الرسم القرآني في جله معلل علميا، وبعض المواضع مظنونة قد لا تقف الآلة العلمية عند كنهها وتفسيرها وسبيلها حينذاك الرأي والتأويل، وتبقى الدراسة العلمية لا تتعارض مع الرأي المنضبط والتأويل المقبول، وإذا كانت الصرامة العلمية تدحض المعاندين والمشككين من أعداء الدين وأهل الأهواء، فإن فسحة التأويل وجمال التخريج تزيد المؤمنين إيمانا ويقينا.

7. قائمة المراجع:

- ابن الجزري، (2000)*شرح طيبة النشر في القراءات*، ط2، ت أنس مهرة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان، [د.ت]، *المقنع في رسم مصاحف الأمصار*، ت. محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية،
- بوعياد محمود، (2007)، *الرحلة العجيبة لنسخة من مصحف الخليفة في أرجاء المغرب والأندلس*. الجزائر: موفم للنشر.
- الجهني خالد محمود ، (2013)، *الفرق بين الرسم العثماني والرسم الإملائي الذي جرى عليه العرف*، [د. م].
- دراز عبد الله، (1997)، النبأ العظيم، ط1، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الزرقاني عبد العظيم، (1996)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، بيروت دار الفكر.
- السيوطي جلال الدين، (1998)،*المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. بيروت، دار الكتب العلمية.
- قدوري غانم، (1982)، *رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية*،ط1، العراق، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15هـ.
- قدوري غانم، (2016)، *الميسر في رسم المصحف وضبطه*،ط2، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية.

- الكتاني محمد عبد الحي،[د.ت]،*التراتيب الإدارية: نظام الحكومة النبوية*، ط2، ت. عبدالله الخالدي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- الماوردي، (1421ه)،*أدب الدنيا والدين*،بيروت، دار ومكتبة الهلال.
- المراكشي، أحمد بن محمد الأزردي أبو العباس، (1990)*عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل*، ط.1، ت. هند شلبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- معرفة محمد هادي، [د.ت]، *تلخيص التمهيد*. مؤسّسة النشر الإسلامي.
- النبهان محمد فاروق ،(2005)، *المدخل إلى علوم القرآن الكريم*، دار عالم القرآن – حلب.
- الهوريني نصر أبو الوفاء، (2005)،*المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية*،ط1، ت. طه عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة.